من الواضح تماما ان مراعاة مجمل هذه العوامل التي تحدد تطور الكاتب هي وحدها التي تستطيع ان تعطينا تصورا واضحا عن طريقته الفنية . غير ان الكشف عن الخصائص العامة التي تتصف بها الطريقة الرومانتيكية ممكن وضروري .

لقد دعا الرومانتيكيون الرجعيون الى ارجاع الماضي وكأنهم ارادوا بذلك ايقاف التطور الاجتماعي ورده الى الوراء . ولم يكن بالامكان تحقيق « مثلهم الأعلى » في نظرهم الا برد حركة التاريخ الى الخلف . وهكذا صار عندهم « الواقع » و « ما يجب أن يكون » في تناقض لاحل له .

ووجد الرومانتيكيون التقدميون انفسهم أمام تناقض مستعص ايضا في ظروف انتصار المجتمع البرجوازي في مطلع القرن التاسع عشر . ان المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي قامت بنتيجة « انتصار العقل » بدت صورة كاريكاتورية شريرة ومثيرة للتشاؤم لتلك الوعود البراقة التي بشر بها المنورون .

وانطلق هؤلاء من النظرة الطوباوية في أغلب الأحيان باحثين عن حل لهذا التناقض وعن صيغ للحياة الاجتماعية اكثر كمالا .

وقد عبر ذلك عن ضيق افقهم التاريخي المحتوم . وتحتم ، بنتيجة ذلك ، ان تكتسب خططهم ومثلهم العليا طابع الوهم والتجريد .

وبرز التناقض بين الحلم والواقع عند الرومانتيكيين التقدميين في سعيهم الى التنبؤ بما سيحدث وما هو مفقود في عصرهم .

لقد [illegible] الرومانتيكيين التقدميين عصرهم وتطوره الحقيقي . وما حلموا به كان في المستقبل . هذا [illegible] كده حركة التاريخ المستمرة الى الأمام . ولكن نظرتهم الى العالم كانت [illegible] التناقض والوهم الذي أدى بهم في احيان كثيرة وبصورة موضوعية الى الدفاع عن القديم والى انكار تقدمية المجتمع الجديد التاريخية . ان الذاتية في فهم العملية التاريخية دفعتهم احيانا الى انشاء نظريات تاريخية تعسفية (مخطط تطور الانسانية التاريخي في مقدمة « كرومويل » لفكتور هيجو مثلا) .

خائص نظرية الفن عند الرومانسكيين

ان الذاتية التاريخية التي تتصف بها الرومانتيكية وما ينجم عن ذلك من انفصام بين المثل الاعلى والواقع في فلسفة الرومانتيكيين يبرزان بوضوح في نظرتهم الى الفن .